المحاضرة رقم09: قصيدة النثر

1-قصيدة النثر(إشكالية المفهوم/ المصطلح):

إن مصطلح قصيدة النثر يرجع في الأصل إلى ترجمة المصطلح الفرنسي (poémeeprose) وهو مصطلح وجد في بعض كتابات **رامبوا** النثرية الطافحة بالشعر وإن تكن له أصول عميقة في الآداب كلها بما في ذلك العربية ولا سيما الديني والصوفي منها.

أطلق **جون كوهين** على قصيدة النثر مصطلح (قصيدة معنوية) فيقول: "ففي قصيدة النثر في الواقع يوجد بصفة عامة نفس الخصائص المعنوية التي توجد في قصيدة الشعر ليس هناك شك أن الشاعر في قصيدة النثر متحرر من قيود الوزن وهو من ثم أكثر طواعية لكي يلعب على رافد المستوى المعنوي"؛ فمن خلال هذا المفهوم الذي طرحه جون كوهين نجده يضيف صفة أخرى لقصيدة النثر ألا وهي المعنوية في محاولة منه للوقوف على نقاط التلاقي بينها وبين القصيدة الشعرية.

هذا وقد عرف مصطلح قصيدة النثر فوضى وتعددا في المصطلحات، حيث أطلق على هذا الشكل الجديد مجموعة من المصطلحات منها: الشعر المنثور، النثر الشعري، القصيدة المضادة، القصيدة غير العروضية، النثيرة ، وغير ذلك من التسميات.

هذا وتعرف **سوزان برنار** قصيدة النثر من خلال قولها: "إن قصيدة النثر هي تماما نوع مختلف، ليس هجينا في منتصف الطريق بين النثر والشعر، ولكنه شعر خاص، بمثابة نثر إيقاعي مكتوب بشعرية رهيفة، يفترض بنية وتنظيما، بكل ما فيهما، إذ يبقى أن نعلن القوانين، قوانين ليست فقط صريحة، إنها عميقة، عضوية، مثلما هي الحال في كل نوع فني حقيقي".

وجاء تعريفها في **موسوعة الشعر وفنونه** بأنها: "عمل يمكن أن يضم بعض خصائص الشعر الغنائي أو جميعها، إلا أنها تتخذ على الصفحة شكل النثر، لكنها لا تعتلج في وجدان الشاعر كما يفعل النثر، وهي تختلف عن النثر الشعري في أنها قصيرة ومركزة وعن الشعر الحر في أنها لا تتقطع إلى أسطر وعن فقرة النثر القصيرة في أنها تنطوي عادة على إيقاع أكثر بروزا، وعلى مؤثرات نغمية وصور وكثافة في التعبير، وقد تنطوي على قواف داخلية وامتدادات موزونة، وطولها في العادة بين نصف صفحة (فقرة أو اثنتين) وثلاث صفحات أو أربع أي متوسط طوال القصيدة الغنائية".

يعرفها **أدونيس** بأنها: "نوع متميز قائم بذاته، ليست خليطا، هي شعر خاص يستخدم النثر لغايات شعرية خالصة، لذلك لها هيكل وتنظيم ولها قوانين ليست شكلية فقط، بل عميق عضوية كما في أي نوع فني آخر".

أما **محمد علي الشوابكة** فيعرفها بقوله: "إنها الكتابة التي لا تتقيد بوزن أو قافية وإنما تعتمد الإيقاع والكلمة الموحية والصورة الشعرية، وغالبا ما تكون الجمل قصيرة محكمة البناء مكثفة الخيال".

2-نشأة قصيدة النثر:

أ-عند الغرب:

تأتي فرنسا في طليعة الدول الأوروبية في التمهيد لنشأة قصيدة النثر حيث ظهر هذا اللون على يد أدبائها ومبدعيها منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، ويقر عديد من الدارسين أن قصيدة النثر هي من ابتداع شاعر فرنسي يدعى (ألوسيوس بير تران).

أما بودلير فقد كتب أولى قصائده النثرية عام 1875م وهي عبارة عن ست قصائد نشرت في مجلة الحاضر التي كانت تصدر في باريس والقصائد بعنوان: قصائد ليلية، وبعد بير تران وبودلير تبنى شعراء المدرسة الرمزية نموذج قصيدة النثر، وخرجوا فيها على النظام الذي ظل مسيطرا على الحركة الشعرية منذ الرومان، نفورا من صلابته التي تكره الشاعر على تضخيم عاطفته أو إضعافها، لكي تناسبه، وفرار مما أسموه بـ البيت الحر حيث لا يخضع الشاعر إلا لقاعدة واحدة وهي انفعاله الداخلي.

كما أثرت قصيدة النثر أيضا في بعض اتجاهات الشعر الانجليزي وعلى الأخص المدرسة التصويرية، وتأثر بقصيدة النثر أيضا الشاعر إليوت.

هذا ويمكن القول أن فرنسا هي التي مهدت لظهور قصيدة النثر وأن أدباءها هم الذين روجوا لها، ومن فرنسا انتقلت قصيدة النثر إلى بلدان أروبية أخرى، وإلى لغات وآداب مختلفة ومنها إلى الأدب العربي.

ب- عند العرب:

مع مطلع القرن العشرين بزغت بذور حركات جديدة في الأدب العربي تسير نحو التجديد والتغيير وتستلهم مثلها وقيمها من الثقافات والآداب الأوربية الوافدة، ومن ثم ظهر في أدبنا العربي أنواع أدبية جديدة وأخذت تزدهر، كان من أبرزها قصيدة النثر.

كان للترجمة من الآداب الغربية إلى اللغة العربية أثرها الكبير في نشأة قصيدة النثر في العالم العربي، حيث تعود قراء العربية منذ مطلع القرن العشرين على قراءة نماذج شعرية مترجمة إلى العربية تحمل بين طياتها الكثير من الظواهر الفنية الجديدة من بينها ذلك اللون الشعري (قصيدة النثر) الذي يتمرد على الوزن والقافية ويعتمد في شعريته على الإيقاع الداخلي للكلمات.

مع ذلك يقر نقاد في اتجاه آخر بوجود هذا النوع الأدبي (قصيدة النثر) في أدبنا العربي في أجناس أدبية تراثية، فالمتفحص مثلا في أسلوب المقامة العربية بما تشتمل عليه من نثر فني بديع يحمل الكثير من الإيقاعات الفنية والموسيقية قد يجد خيوطا وجذورا لهذا الجنس المسمى بقصيدة النثر، وكذلك في كتابات بعض الكتاب من أمثال عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وابن العميد وغيرهم.

و لكن تظل للترجمة الغربية والآداب الوافدة في نظر الكثير من النقاد الأثر المباشر في ظهور قصيدة النثر في أدبنا العربي الحديث؛ لأن أغلب الأدباء لم يتأثروا بالتراث العربي وما فيه من نثر بليغ، إنهم يتمردون عليه ويقاطعونه ويولون وجوههم شطر الآداب الأوربية، وتأتي لبنان في مقدمة البلدان العربية التي مهدت لنشأة قصيدة النثر والترويج لها؛ وذلك لكونها –لبنان- من أكثر البلدان العربية ارتواء من منابع الثقافة الأوربية الحديثة.

هذا ويذكر **أدونيس** عدة **عوامل مهدت لنشأة قصيدة النثرفي الأدب العربي** من أهمها نذكر:

-انعتاق اللغة العربية وتحررها.

-ضعف الشعر التقليدي الموزون وانحطاطه.

-التحرر من وحدة البيت ونظام التفعيلة الخليلي.

-نمو الروح الحديثة التي ترفض القواعد والقيود.

-ترجمة الشعر الغربي وتقبل الناس له في البيئة العربية رغم أنه لا يشتمل على الوزن والقافية.

3-قصيدة النثر في الأدب العربي بين الرفض والقبول:

أثارت قصيدة النثر جدلا كبيرا في أوساط النقاد والشعراء العرب حول شرعية هذا الشكل الجديد، فظهر في ضوء هذا الجدل اتجاهين تباين بين رفض قصيدة النثر، واتجاه آخر قبل رواده قصيدة النثر:

أ-الرفض:

نجد في مقدمة الرافضين نازك الملائكة التي انتقدت هذا اللون الشعري كثيرا، غير أن هناك من جعل مرد رفضها إلى عامل ذاتي ينم عن محاولة حفاظها على الريادة والأسبقية في التجديد بالنسبة لشعر التفعيلة.

وينفي محمد حجي فكرة المزج بين الشعر والنثر ويوضح الحدود الفاصلة بينهما بقوله: "الشعر شيء والنثر شيء آخر علينا أن نتميز بالصرامة مع أنفسنا لا ينبغي قبول كل ما يكتب مهما كان كاتبه على أساس أنه شعر".

ومن الرافضين لقصيدة النثر أيضا نجد: أمل دنقل، محمد إبراهيم أبو سنة، حافظ صبري، وغيرهم.

ب-القبول:

لقد انطلق النقاد والشعراء المشجعون لقصيدة النثر من فكرة أن الشعر ليس فقط وزنا وقافية، ولعل من أبرز النقاد والأدباء العرب الذين أبدوا قبولهم لقصيدة النثر نجد: طه حسين، أنسي الحاج، نزار قباني، عبد الواحد لؤلؤة، أدونيس، وغيرهم.

وعد أدونيس من أبرز الشعراء العرب الذين دافعوا عن قصيدة النثر واعترف بها من خلال كتابته لعدة قصائد في صددها، ونجده يقول عنها: "هي نوع متميز قائم بذاته، ليست خليطا، شعر خاص يستخدم النثر لغايات شعرية خالصة، لذلك لها هيكل وتنظيم، ولها قوانين ليست شكلية فقط، بل عميقة وعضوية كما في أي نوع فني آخر".

4- مجلة شعرودورها في الترويج لقصيدة النثر:

تبنت مجلة شعر اللبنانية التي صدرت في شتاء عام 1958 ذلك الجنس الشعري الجديد (قصيدة النثر)، وتبارى أدباء وشعراء هذه المجلة في طليعتهم محمد الماغوط، أدونيس، شوقي أبو شقرة وغيرهم في الترويج لهذا اللون الشعري الجديد بمقالاتهم، وإبداعاتهم منذ عام 1958م وهو تاريخ أول لقاء شعري مع محمد الماغوط نظمته جماعة مجلة شعر.

ويذكر أحد الباحثين أن أدونيس كتب أول قصيدة نثرية عام 1958م بعد أنسي الحاج بأشهر، ثم تبعهما شوقي أبو شقرة، يوسف الخال، وآخرون.

وقد جاء تبني حركة مجلة شعر لقصيدة النثر تأكيدا لمقولة ترددت كثيرا في ثنايا المجلة، ونعني بها التمرد على الأشكال الشعرية السائدة، لذلك رأت في قصيدة النثر تجسيدا مطلقا لهذا التمرد.

هذا ويرى عبد العزيز موافي أن دور مجلة شعر في نشأة قصيدة النثر والترويج لها يتلخص في:

-التكفل بنشر الدراسات التي تتعرض بالنقد والتحليل (الإيجابي) للدواوين الشعرية الحداثية التي تتخذ من قصيدة النثر أنموذجا للكتابة والثورة، كما تكفلت المجلة أيضا بنشر الدراسات الشعرية النظرية،

ودواوين شعرية متميزة ففي العدد الحادي عشر من مجلة شعر ظهرت أول محاولة تنظيرية للتوجه الجديد، ممثلة في مقالة أدونيس بعنوان محاولة في تعريف الشعر الحديث.

-تقديم الترجمات الشعرية للقصائد الأجنبية وذلك دون التزام القافية والوزن وهذا ما جعلها تمثل أنموذجا للاحتذاء وممارسة طقوس كتابة جديدة.

5-خصائص قصيدة النثر:

تحدد **سوزان برنار** الخصائص الفنية لقصيدة النثر في الآتي:

-ينبغي أن تكون **وحدة عضوية** مستقلة، بحيث تقدم عالما مكتملا يتمثل في تنسيق جمالي متميز، يختلف عن الأشكال النثرية الأخرى، من قصة قصيرة، أو مقال أو رواية مهما كانت شاعريتها وتفرض إرادة واعية للانتظام في قصيدة.

-يتعين أن تكون وظيفتها الأساسية شعرية، وهذا يتطلب أن تكون بنيتها اعتباطية أو **مجانية**، يعني أنها تعتمد على فكرة **اللازمنية**، بحيث لا تتطور نحو هدف ولا تعرض لسلسلة أفعال أو أفكار منتظمة مهما استخدمت من رسائل سردية أو وصفية.

-على قصيدة النثر أن تتميز بالتركيز و**التكثيف**، وتبتعد عن الاستطراد والتفصيلات، فالاقتصاد أهم خواصها، ومنبع شعريتها.

هذا ويحدد **أدونيس** خصائص لقصيدة النثر ويجعلها هو الآخر في ثلاث خصائص وهي:

-يجب أن تكون صادرة عن إرادة وبناء تنظيم واعية، فتكون كلا عضويا، مستقلا، **فالوحدة العضوية** خاصية جوهرية في قصيدة النثر.

-هي بناء فني متميز، فقصيدة النثر لا غاية لها خارج ذاتها، سواء كانت هذه الغاية روائية أو أخلاقية أو فلسفية،... فهناك **مجانية** في القصيدة، ويمكن تحديد المجانية بفكرة **اللازمنية**.

-**الوحدة والكثافة**، فعلى قصيدة النثر أن تتجنب الاستطرادات والإيضاح والشرح وكل ما يقودها إلى الأنواع النثرية الأخرى.

مما سبق يمكن القول أن قصيدة النثر ثورة على كل التقاليد الشعرية الموروثة خاصة ما يتصل بالوزن والقافية، وبالتالي فهي تخلق إيقاعا جديدا لا يعتمد على أصول الإيقاع في قصيدة الوزن، وهذا الإيقاع الداخلي الذي تتبناه قصيدة النثر متنوع فمرة نراه في التوازي، ومرة في التكرار، ويمكن القول أن شاعر

قصيدة النثر متمرد على قواعد السلف، رافض لها، ثائر عليها، يتبنى موسيقى داخلية خاصة به وبتجربته الإبداعية.

بعض المراجع المعتمدة في المحاضرة:

-شهرزاد بناني، قصيدة النثر في ميزان التحولات النقدية العربية، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج- الجزائر، مج: 02، ع: 02، جوان 2021.

-آمال دهنون، قصيدة النثر العربية من خلال مجلة شعر الأسس والجماليات، (رسالة ماجستير)، إشراف: الطيب بودربالة، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، 2003- 2004.

-أحمد بزون، قصيدة النثر العربية (الإطار النظري)دار الفكر الجديد، لبنان، ط1: 1996.

-سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1: 2001.

-عمر عبد المعبود عبد الرحمن، قصيدة النثر (النشأة والمفهوم، المؤيدون والمعارضون)، المجلة العلمية، ع: 1، 2020.

-آيت حمو سكورة، قصيدة النثر العربية والتداخل الأجناسي، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: شريفي فاطمة، جامعة ابن خلدون، تيارت- الجزائر، 2020- 2021.

-حكيمة شداد، قصيدة النثر تنظيرا وإبداعا عند أدونيس، مجلة إشكالات، مج:7، ع:1، 2018.